

بناء نموذج التحليل في البحث السوسيولوجي من التراث النظري إلى الواقع العملياتي

Constructing an Analysis Framework for Sociological Research from Theoretical Heritage to Practical Application

منيرة سوفي
جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر).

soum69497@gmail.com

كمال عمتوت*
جامعة طاهري محمد- بشار (الجزائر).

amttout.kamel@gmail.com

تاريخ القبول : 2024/02/24

تاريخ الاستلام: 2023/07/15

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى توضيح تصور منهجي عام حول بناء نموذج التحليل بوصفه إحدى المراحل في البحث السوسيولوجي حيث تكشف تجربة في الجامعة الجزائرية، عن مجموعة من العراقيل عند عديد من الطلبة والباحثين، تتجسد في ذلك التبعض وعدم القدرة على تأنيث البحث، بما يخدم منطقة الجدل منهجيا، تراثا نظريا، وواقعا عمليا، وللتخفيف من حدة هذا الارتباك الذي يواجهه المشتغل بالبحث في علم الاجتماع.

ومن النتائج المتوصل إليها أن بناء نموذج تحليل دليل على ما يقدمه الباحث من مجهودات في البحث، وكاختبار حقيقي لما قد يصل إليه من نتائج قابلة للتعميم والتطبيق عمليا من جهة، وأي مخالفة للقواعد المنهجية الصارمة تؤدي به إلى التعثر والخروج بنتائج سطحية عن منطقة التركيز في البحث السوسيولوجي.

الكلمات المفتاحية: نموذج التحليل؛ البحث السوسيولوجي؛ التراث النظري؛ الواقع العملياتي؛ المنهجية المعمقة.

Abstract:

This article aims to develop a general methodological perception of the construction of the analysis model as a phase in sociological research as an experiment at the University of Algeria revealed a variety of obstacles for many students and researchers, reflected in that fragmentation and inability to provide research that systematically serves its contentious logic, Theoretical heritage, and practical application. This study has been done to help the researcher who was experiencing this confusion.

One outcome is that the creation of an analysis model serves as both an actual proof of the researcher's research efforts and a genuine test of any results that may be relevant to him. It is practically generalizable and applicable, and any violation of firm methodological rules leads to it to stumble and produce flimsy results from the focus area in sociological research

Keywords: Analysis model, sociological research, the oretical heritage, the practical application, thorough methodology

مقدمة

إن البحث قد لا يزودنا دائما بالنتائج التي نتوقعها أو نريدها، بل يعطينا شيئا مما أشار إليه تولكين (J. Tolkein) في مؤلفه ملك الخواتم "The Lord of Ringe" حيث قال: ليس أمامك سوى البحث، إذ كنت تريد اكتشاف شيء ما، ومن المؤكد أنك سوف تكتشف - بعد أن تقوم بالبحث - شيئا ما، إلا أنه لا يكون دائما نفس الشيء الذي كنت تسعى للوصول إليه. (ماتيزور وروس، 2016، صفحة 47)

وتعتبر المنهجية مجموعة من الخطوات المتعارف عليها بين العلماء، والتي يتبعها الباحث في محاولة فهمه للأمور والعلاقات في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، والغرض الجوهرى منها اكتساب المعرفة العلمية والوصول إلى حقائق تتميز بعنصرها الجاد والأصيل، فحسب موريس أنجرس (Angers, M) الذي يعتبرها مجموعة من المناهج والتقنيات التي توجه إعداد البحث العلمى وترتيب الطريقة العلمية، أي هي دراسة المناهج والتقنيات المستعملة في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

هذا ولما كان البحث السوسولوجي تمرين أكاديمي يهدف إلى تعميق المعرفة وبناء قاعدة معرفية ابستمولوجية حول موضوع ما، وفي السياق ذاته نجد محمد قسوس يؤكد أن كل بحث أو تكوين التراث السوسولوجي الموروث على الصعيد العالمى كإطارات مرجعية وكأداة أساسية له، بمعنى أنه يستعمل المفاهيم، والمناهج وطرق التحليل والتفكير والفهم والاستدلال والآليات التي يتوفر عليها هذا التراث كأساس.

إن بداية بناء بعض القناعات المشتركة بين الباحثين السوسولوجين، وما يحدث حاليا هو الانتقال في مسار علمي ممنهج يتسم أساسا بمحاولة ضمان أقصى ما يمكنه من الترابطات المرحلية من سؤال الانطلاق إلى غاية عرض النتائج الدراسة السوسولوجية.

وبناء نموذج التحليل هو ضمن مسار الباحث السوسولوجي، ومن الضروري أن يكون لأي موضوع بحث نموذج تحليل خاص به، وهذا الأخير يتضمن مجموعة من الإجراءات والعمليات يقوم بها الباحث، إذن فهي عملية بناء (فيها الكثير من التفكيك، التحليل، والجهد الفكرى)، والمقصود من هذا القول هو أن نموذج التحليل يبني ولا نجده جاهزا في المراجع والدراسات السابقة كما يتصوره كثير من الدارسين في علم الاجتماع.

لذا فإن الحديث عن بناء نموذج التحليل، يحدد مشروعيته في السؤال التالى: ما هي الإجراءات الابستمولوجية والامبريقية التي يقوم بها الباحث في بناء نموذج التحليل لبحثه السوسولوجي؟

ومن أجل إلقاء مزيد من الضوء على الجوانب المتعلقة بالسؤال المحوري تحاول هذه الدراسة الإجابة، عبر عدة محاور، عن التساؤلات الفرعية التالية:

- ماذا نقصد بنموذج التحليل وماهية أهميته؟
 - كيف يقوم الباحث بتحديد فرضيات الدراسة؟
 - ما هي الإجراءات المنتهجة التي يقوم بها الباحث في عمله للتفكيك البعدي للمفهوم؟
- وعليه، ولأجل الضبط المنهجي للعرض، ومعالجة إشكالية الدراسة ووضعها في مستوى التحليل قدر الإمكان، مع محاولة تسليط الضوء على أهم الجزئيات ذات العلاقة بكل عنصر من عناصر الدراسة.
1. في مفهوم النموذج - نموذج التحليل وأهميته في البحث السوسولوجي

انطلاقاً من هذا المفهوم المركب بين (نموذج - نموذج التحليل)، نجد على مستوى التعريف الاصطلاحي أن مفهوم النموذج يأخذ معنى الانجاز العلمي، والمتفق عليه بين العلماء والباحثين من مجموع الطرق والأساليب والمعايير التي يستند إليها البحث العلمي، فالنموذج لا يولد ويرى النور إلا من خلال اكتشاف علمي عالمي معترف به" (عمتوت، 2021)، "كما نجد من ضمن التعاريف المهمة الذي أقره"دافيد ويلر" للنموذج بوصفه" تصور لمجموعة من الظواهر، يتم تكوينه على أساس عقلائي، ويكون هدفه النهائي تزويد النسق الصوري الذي متى تم تحقيقه أصبح نظرية بالحدود والعلاقات والقضايا" (محمد حسن، 2001)، كما يشير النموذج إلى نوع من أنواع الأدوات العلمية النظرية لتحليل الظواهر الاجتماعية، حيث يتميز عن أدوات البحث الأخرى من ناحية خاصيته التجريبية، وقيامه على أفكار نظرية معينة في التحليل. إنه يساعد الباحث على ضبط والتحكم في التحليل بالشكل الذي يرسم له خطوط البحث الموصلة بشكل مباشر للأهداف المرسومة، والنتائج المتوقعة. (بوخوش و اخرون، 2019، صفحة 25)

وباعتبار نموذج التحليل مرحلة من مراحل البحث العلمي، والذي يعرفه كل من (كوفي و كمنهود، 1999، صفحة 183) بأنه: "الامتداد الطبيعي للإشكالية [...]"، وهو يتألف من المفاهيم والفرضيات المترابطة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً لتشكل معاً إطاراً لتحليل متماسك، ومع ذلك وجب عادة تحديد السؤال المركزي للدراسة التي تغدو ونوعية العمل الاستكشافي على جانب من الأهمية كونها ستبذل تدريجياً مفاهيم أساسية وفرضيات كبرى.

على ذكر أن بناء نموذج التحليل سوف يفيد من ناحية التعبير اللغوي الخالص، فهذا يساعد الباحث على تجنب الوقوع في الاستطراد اللغوي الذي قد يخدع نفسه ويقدم المفاهيم بصورة متناقضة، ويسعى أيضاً إلى العمل على تقليل احتمالية احتواء التحليل بصورة غير متعمدة لمفاهيم أو

افتراضات كامنة فهو يلعب دورا هاما في عملية الانتقاء للمفاهيم والفروض المنسقة منطقيا والمفيدة عمليا، ويقوم بمهمة أو وظيفة أخرى، وهي جدولة مجموعات المفاهيم التي يفترض أهميتها، وتساغده على التحليل وليس الوصف فقط، إضافة إلى ذلك يعمل النموذج التحليل على تقنين وسائل التحليل الكيفي بأسلوب يجعلها تقترب من منطقية ودقة وواقعية التحليل الكمي.

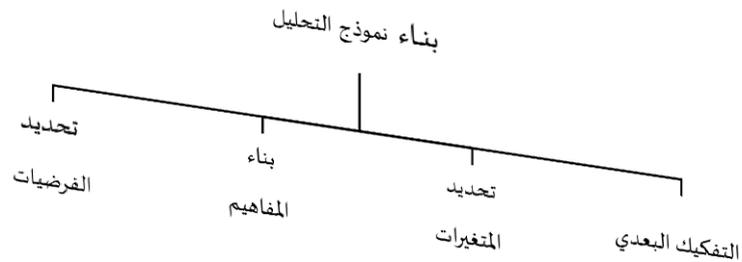
ومن الأفكار المهمة التي حاول روبرت ميرتون (Mrton. R) إبرازها في صياغة نموذج التحليل هو إعادة تقنين إنجازات الاتجاه الوظيفي التي تطورت في كل اتجاه، وهذا يمهد حسه الطريق إلى إصلاح عيوبه، وهذا يعني تنقبح المفاهيم والقضايا التي تنتهي إلى الاتجاه الوظيفي وإعادة تنظيمها، وتتخذ هذه المفاهيم والقضايا شكل النموذج التحليلي حينما تتجمع في بناء متكامل يضمها مع بعضها البعض.

هذا وبغض النظر عن وظائف نموذج التحليل كمبررات لأهميته وضرورته، فمن الواضح أن نجد مرتون قد خلص إلى تحديد الأسباب التي تفرض صياغة النماذج التحليلية ومنها: (سي محمد، 2008)
أ- أن صياغة نموذج التحليل هام، لأنه يحتوي على الحد الأدنى من المفاهيم التي يجب أن يستخدمها علم الاجتماع.

ب- يعتبر نموذج التحليل كدليل موجز ومختصر يرشد الباحث إلى أفضل الأساليب لصياغة البحوث الأكاديمية، إضافة إلى أنه يساعد في تحديد العيوب التي تعاني منها البحوث السابقة.

ج- يساعد نموذج التحليل في توجيه الباحثين بصورة مباشرة نحو تطوير الافتراضات الهامة والجوهرية.

الشكل 1: "مراحل بناء نموذج التحليل في البحث السوسولوجي"



المصدر: من إعداد الباحث

1. تحديد الفرضيات في الدراسات السوسيولوجية

أصبحت الفرضية من البديهيات في العلوم الإنسانية والاجتماعي كمحطة منهجية أولى يبدأ بها البحث السوسيولوجي، فالتفتيش عنها بين فقرات البحث لا معنى له في بعض الأحيان ذلك أنها حاضرة في كل تفاصيل البحث وفي كل فكرة من أفكاره، إذ يعرفها موريس أنجرس (Angers, 1997) أحد منظري المنهجية حيث قال "بأنها تصريح يتنبأ بعلاقة بين عنصرين أو أكثر ويتضمن تحقيق امبريقي"، ولما كانت الفرضية بمثابة اقتراح علاقة أو علاقات سببية وتفسيرية بين متغيرين على الأقل، بمعنى أن الباحث هو الذي يجب أن يقترح هذه العلاقة أو العلاقات بناء على رؤيته وموضوع دراسته والمجسد أصلا في إشكالية البحث، وبعبارة أخرى يمكن تعريفها بأنها حل مؤقت لإشكالية محل البحث تعتمد على التخمين الذكي الذي يجمع - بصورة قابلة للاختبار - بين عناصر حدود ومتغيرات الدراسة.

وعند قيام أي باحث بصياغة الفرضيات البحثية، فهو ينطلق من احتمال أن الملاحظة والتحليل ستبرهن صحة العلاقة بين المتغيرات التي أسسها على مستوى الفرضيات، وهذا ليس صحيحا دوما، فقد يكون مناقضا للنتائج المتوصل إليها في دراسة أي ظاهرة، فإذا كانت الفجوة بين العلاقات والمتغيرات التي صاغها على مستوى الفرضيات، والعلاقات التي توصل إليها بحيث تكون حتمية أقرب إلى واقع الظاهرة، وعلى هذا المسار نجد أن "ريمون كفي" و"فان كمنهود" (Quivy & Compenhoudt, 1980). في كتابهما الموسوم بـ: "Manuel de recherche en sciences sociales" قد أكدوا على ذلك من خلال "إعادة صياغة الفرضيات بما يتناسب مع حقيقة الظاهرة المدروسة"

ولا شك إن للفرضيات دور مهم في البحث السوسيولوجي، فهي تقوم بتوجيه الباحث نحو جمع المعطيات بهدف تبيان صدق أو نفي فرضيات الدراسة، الأمر الذي يتطلب ضرورة الالتزام عند صياغتها درجة توفر للبحث السير الفعال، كما تؤدي الفرضيات دورا مهما وحيويا في استخراج النظريات والتفسيرات العلمية للظواهر والمساهمة في تراكم المعرفة وتواصل وتيرة البحث العلمي من خلال الكشف عن أفكار وفرضيات جديدة يمكن دراستها.

ولعل من أهم الخطوات المنهجية التي تكشف المستوى الحقيقي للبحوث تلك المتعلقة بصياغة الفرضيات، ذلك أن وجود هذه الأخيرة بصورة واضحة ودقيقة تعبر عن مدى تبلور التصور النظري ووضوح الإشكالية، كما تسمح بتوجيه البحث توجيها سليما وتحيد نوعية وطبيعة المعلومات التي ينبغي الحصول عليها وكذلك أفضل السبل لتحقيق ذلك، واعتبارا لهذه المكانة المركزية للفرضيات أو التساؤلات المبدئية الموجهة للبحث.

وذهب (بن جخدل، 2019) لتبسيط أدوار ووظائف الفرضية داخل هيكل البحث العلمي من خلال العناصر التالية:

أ. تحديد مسار البحثي: تساهم الفرضية في تحديد ضبط مجال الدراسة بشكل نوعي، بحيث يدور الباحث مجهوده البحثي في المحور الذي وضعه فيها. مبتعدا عن باقي الخيارات التي سبق وأن تم إقصائها لدى صياغة فرضياته. حيث كان الهدف من ذلك هو الابتعاد بالدراسة عن العشوائية بتجميع بيانات غير ضرورية أو مفيدة.

ب. بلورة السياق الامبريقي: كما هو معلوم أن من خصائص الفرضية قابليتها للاختبار، وهي بذلك تعتبر الممر لمختلف الأطروحات الفكرية نحو التحقق الامبريقي، وبدونها يبقى الباحث عاجزا عن ملامسة أفكاره وبرهنة علمها ضمن السياق الاستقرائي.

ج. الشحن الانفعالي: يكون عن طريق حرص الباحث على جمع المعلومات وتجاوز الصعوبات التي قد تحول دون الوصول إلى المراحل الأخيرة من دراسته، أين يقف بشكل واقعي على مدى تحقق الفروض التي سبق له أن استأنس بها، مع التمسك بالموضوعية البحثية.

د. توفير الوقت والجهد: كما سبقا وقلنا أن الفرضية تخمين ذكي يعجل منه أداة اقتصادية غاية في التوفير حيث تمكن الباحث من تجريب خيارات متعددة لحل المشاكل الذي تواجهه.

2. بناء المفهوم في العلوم الاجتماعية

إذا كان " مفهوم المفهوم " في الأدبيات المنهجية يعني: " لفظة أو مجموعة مصطلحات تؤشر عن مجموعة من الظواهر... (Depelteau, 2010)، أما في علم الاجتماع فيقابل المفهوم بأنه " اصطلاح تجريدي لا يمكن اعتبار النظرية الاجتماعية ذاتها بل هو جزء مهم منها لطلما أنها تتكون من مجموعة من أفكار [دينامية] تبعا لتغير العصر وتبدل ظروفه الموضوعية [...]، وبالتالي يهتم علم الاجتماع بدراسة الأفكار والمفاهيم لأنها تشكل حجر الزاوية في بناء فرضياته ونظرياته الاجتماعية". (الزبياري، 2011، صفحة 103).

ومن هذا المنظور فإن المبررات المنهجية التي تدفع بالباحث السوسولوجي إلى تحديد مفاهيم بحثه بأبعادها ومؤشراتهما، تتوقف عند مصوغين اثنين نراهما على درجة من الأهمية، فبالإضافة إلى المبدأ المعرفي العام المكوّن لهوية الحقل السوسولوجي، والذي تعتبر المفاهيم مفاتيحه الأساسية، فإن التحديد المنهجي لهذه الأخيرة يجنب البحث السوسولوجي تعسفا مزدوجا: فالأول من حيث اتجاه المفهوم في حد ذاته من حيث توسيعه إلى ما لا يجب أن يتسع إليه، وبالتالي في هذه الحالة قدر مارسنا

تعنيها للمفهوم، أما اتجاه الواقع من حيث تفسيره بغير أسبابه، وبالتالي نكون قد مارسنا تعنيها للواقع الاجتماعي، من أجل تلافي ذلك يتوجب تحديد المفاهيم التي كونت مرتكزات وخلفية أي دراسة، سواء تلك التي شكلت عنوانها الرئيسي، أو تلك التي وردت في إشكالياتها وفرضياتها، تحديدا يبدأ نظريا مجردا لينتهي إجرائيا ملموسا ثريا بالأبعاد والمؤشرات، وعليه فبناء المفاهيم هي عملية الانتقال من التجريدي إلى الملموس بمعنى الانتقال من مفاهيم نظرية مركزية إلى مفاهيم فرعية عبارة عن خصوصيات أو صفات ملموسة أكثر للمفهوم المركزي.

وكثير من الأحيان يخلط الباحثون بين المصطلح والمفهوم، فيتكلمون عن هذا الأخير قاصدين به المصطلح، بينما الفرق واضح بينهما، فالمصطلح هو لفظ بحد ذاته، والمفهوم هو التعريف الذي يقدمه لذلك المصطلح، وفي هذا الصدد يشير ناصر (قاسيمي، 2017) " أن بناء مفهوم يتجاوز حالة التعريف التقني للمصطلحات، فهو مزيج بين الأفكار السابقة للباحث والتراكمات العلمية السابقة ومقارباته الميدانية[...]"، وبذلك يرافق الباحث في كل مراحل بحثه، ويعتمد نجاحه على مستوى تحكمه في المفاهيم التي استعملها سواء من حيث اختبارها أو من حيث التعاريف التي يقدمها لهذه المفاهيم".

وإذا قلنا إن مشكلة العلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتماع خاصة، تكمن في المفاهيم المستخدمة فيها التي لم يتفق بعد حول تحديدها بشكل جامع وشامل من قبل المتخصصين، وهذا ما أدى إلى بعض الغموض في معانيها، ومن ثم إساءة استخدامها أحيانا نظرا لما تثيره من تعدد في المعاني، فما هو ذا مفهوم "اجتماعي" يستخدم في كثير من الأحيان على أنه مرادف لمفهوم سوسولوجي، على الرغم من أن مفهوم اجتماعي أوسع واشمل من مفهوم "سوسولوجي" والعلاقة بينهما هي من نوع العلاقة بين العام والخاص، وعلى سبيل المثال من يعرف المنهج بأنه الطريقة أو وسيلة، وهناك من يعرف الطريقة منهجا أو وسيلة، مع العلم أن المنهج أعم من الطريقة، والطريقة أعم من الوسيلة. (بريك، 2002).

وفي نفس السياق، برزت مقولة مشهورة لفوليش: " قبل أن نتحدث معي حدد مصطلحاتك (براش، 1998) "، وهذه المقولة توجب علينا استحضارها في دراستنا، بحيث تتعدد المفاهيم وتتداخل وتتناقض بعضها البعض حول القضية الواحدة، فالمصطلح والمفهوم في علم الاجتماع يحمل عدة دلالات وتفسيرات، كما أن عملية الهبوط بالمفهوم لمستوى الإجرائية والصعود به من الإجرائية لمستوى التجريد، من أهم المشكلات التي يواجهها الباحث، وذلك لأنه مطالب في حالة الارتقاء بالمفهوم من مستوى التجريد إلى مستوى الإجرائية يقتضي عليه أيضا إعطاء الدلالة الخاصة بثقافة معينة حسب طبيعة المجتمع الذي يدرسه.

وعليه، وهنا برزت معضلة تحديد الدلالة أو المعنى العام الذي يقوم عليه المفهوم العام والمجرد، كمفهوم الصراع، فمصطلح هو تجريد للواقع، يسمح لنا أن نعبر عن هذا الواقع من خلاله، وتكسي عملية التحديد الدقيق له أهمية قصوى في البحث السوسولوجي، لأنه عن طريق هذا التجريد يمكن للباحث أن يحصر المعلومات التي عليه جمعها، ويمكن للقارئ منذ البداية أن يعرف ماذا يقصد بهذا المفهوم أو ذلك، وعليه فالمفهوم هو رمز يعطي أفكارا معمقة تم تجريبها عن طريق الملاحظة السوسولوجية لمجتمع الدراسة، والتي يتم جمعها ما بين المفاهيم المجردة والإجرائية شطروورها في فرضيات الدراسة ظاهريا وضمينيا

فالدقة والموضوعية من خصائص العلم الذي تميزه عن غيره من ضروب المعرفة، ومن مستلزمات وضع تعريفات واضحة ومحدودة لكل مفهوم، وهذا الأخير يستخدمه الباحثون في كتاباتهم ودراساتهم العلمية في نطاق العلوم الاجتماعية، إنما هي مفاهيم متخصصة عن المفاهيم التي يستخدمها الرجل العادي، وهي تساعدهم على إقامة علاقات متبادلة بين مجموعة من الظواهر الاجتماعية، فمفهوم البيروقراطية يعني عن الشخص العادي مثلا الجهاز الحكومي المعقد، ولكنه يختلف تماما عن الباحث المتخصص في العلوم الاجتماعية، حيث يعني بناء اجتماعيا يوجد في إطار تقسيم العمل من أجل تحقيق أغراض خاصة.

وفي السياق نفسه، لا بد من الإشارة إلى أمر في غاية أهمية وجب على الباحث عند صياغته لمشكلة دراسته أن يحدد بدقة ووضوح معنى كل مفهوم من المفاهيم العلمية خاصة إذا كانت لا تحمل معنى واحدا متفقا عليه بالنسبة لجميع المتخصصين، وهذا ما لاحظته الأستاذ " (حمدوش، 2009)، من خلال دراسته التي توحى " بأن مفهوم الشباب وتحديدته يشكل عائقا منهجيا، وأكثر من هذا عائقا ابستومولوجيا بالنسبة لكل العلوم الاجتماعية بالإضافة إلى ذلك، يفترض هذا المفهوم غموضا كبيرا في تحديد ماهيته، بحيث لم يستقر الباحثون على تعريف واحد جامع ومانع، ناهيك إلى عامل الخصوصية الثقافية للمجتمعات، والتي يمكن أن تلعب دورا بارزا في هذه العملية، هذا إذا ما سلمنا بأن فئة الشباب تبنى اجتماعيا أكثر منها عددية أو ديمغرافية"، وبالتالي يتوجب على الباحثين فتح النقاش والتحليل حول هذا المفهوم على سبيل المثال واستنطاقه، وخدمة لتطلعات موضوع الدراسة وأهدافه، وتجاوز هذا الوضع بات ضروريا، وعلم الاجتماع يوفر بدائل مفاهيمية مستمدة من جهازه المفاهيمي.

كما أن فكرة التعاريف الإجرائية والتي مثلت بأعمال الفيزيائي بردقمان (P.W.Bridgman)، وخصوصا كتابه "منطق الفيزياء المعاصرة"، والذي تركز فكرته "على أن أي مفهوم علمي يجب أن يكون قابلا للملاحظة من خلال استخدام إجراء يمكن من اختبار معيار لتطبيق المفهوم، حيث يحدد معنى المفهوم بشكل كلي وحصري من خلال تعريفه الإجرائي" (بن جخدل، 2019)، من هنا نتفق أن أول المعالم التي يتميز بها التعريف الإجرائي هي صياغته المباشرة والصريحة، والتي ستند على استعماله لتلك اللغة العلمية المتعارف عليها، إضافة إلى طبيعة العملية والتي ستند إلى قابليته للملاحظة والتجريب.

وعلى العموم يمكن القول أن التعريف الإجرائي أصبح من مستلزمات أي دراسة اجتماعية، يرجى لها أن تحقق عمقا واقعيًا، وأن تحدد مفهوما إجرائيا ناتجا عن ترجمة مختلف المعاني المستخدمة في الدراسة، بعد شرحها للاستفادة بها، وصبغها برأي الباحث حتى يكون هو المرشد في معالجة جوانب الظاهرة محل الدراسة، وهو بذلك يعرف ما الذي يجب فعله وملاحظته من أجل إدخال الظاهرة قيد الدراسة ضمن مجال خبرة الباحث وفهمه، وبالتالي هذه التعاريف تجعل معاني هذه المفاهيم ملموسة وقابلة للقياس وفق التطبيق العلمي للمفاهيم.

ومن أجل تكوين فكرة عامة تعكس هذا الأخير، فمثلا إذا كان الباحث بصدد دراسة موضوع انحراف الأحداث في الجزائر، فهو لكي يعرف مفهوم "الحدث المنحرف" تعريفا إجرائيا، فإنه يلزمه أن يوضح أولا ما هو المقصود بكلمة "منحرف"، وما هو الذي يعتبر انحرافا، مثل: السلوك الذي يعاقب عليه القانون، أم الأعمال الشريرة والجنگ البسيطة أم الجنائيات... الخ، والباحث هنا في محاولة تعريف الجانج، حيث يجب أن يستعرض التعريفات السابقة لهذا المفهوم لذي العلماء والمتخصصين الذين سبق لهم وأن تعرضوا بالبحث والدراسة لهذا الموضوع، ثم يكون لنفسه تعريفا مبدئيا يشتمل المعنى المتفق عليه في أغلب المصادر والمراجع، حيث يكون متماشيا مع المنطق والنظم المعمول بها، ومع وجهة نظره، وأيضا مع طبيعة الظاهرة المدروسة، ثم يخضع هذا التعريف للنقد والتحليل والتعديل حتى يصل إلى تعريف إجرائي محدد.

ولمزيد من التوضيح فقد أمكننا على سبيل المثال بإتباع خطوات المنهجية أن نصمم مفهوما إجرائيا للحدث الجانج انطلاقا من بعض البحوث الميدانية التي تم اعتمادها في هذا المجال، وكان مؤدى هذا التعريف أن الحدث الجانج هو ذلك الشخص الذي لم يتجاوز سنه الثامنة عشر، سواء كان ذكرا أم أنثى، حتما ينطبق في بعض الحالات، وفي موضوع آخر حول البغاء كظاهرة اجتماعية عالمية، يمكن أن

نحدد مفهوما إجرائيا للبغاء تم اقتباسه من عديد من المفاهيم التي طرحت في هذا الصدد بعد الاستعادة منها واستبعاد بعضها ومؤداه أن البغاء هو علاقة جنسية غير مشروعة بين الرجل والمرأة دون تمييز وبغير مقابل.

وتعميقا للفهم حول التعاريف الإجرائية، يحاول الباحث تقديم مثال توضيحي آخر، ولنفرض أنه لدينا مفهوم الجريمة، فكيف نقوم باستخراج التعريف الإجرائي منه، في بداية الأمر نقوم بمحاولة تعريف هذا المفهوم في جانبه اللغوي من خلال المعاجم والقواميس المتخصصة، ثم انتقال التعريفات الاصطلاحية التي تشمل مختلف وجهات نظر من الباحثين والمتخصصين في علم الاجتماع وعلم النفس والقانون (...). ويمكن القول في التعريف الإجرائي للجريمة: ... يتبنى الباحث في هذه الدراسة تعريفا إجرائيا للجريمة يشمل كل فعل أو ترك يشكل مخالفة للقواعد القانونية السارية المفعول والمعايير الاجتماعية المرعية، فيواجهه المجتمع بجزاء قانوني أو استهجان اجتماعي،

ولا يمكن أن يفوت الباحث في علم الاجتماع هنا عند بنائه للمفاهيم العملية أن يلجأ إلى الإجراء العملي الذي وضعه "بول لازار سفلد" والذي ساعده عمليا على الانتقال من المفهوم التجريدي النظري إلى المفهوم العملي الملموس ويتكون هذا الإجراء من أربع خطوات أساسية هي: (بوسحلة، 2018)

أ- تصور المفهوم وتمثله في صورة ذهنية: ونعني بذلك أن المفهوم يدرك ويتم استيعابه ذهنيا مثال مفهوم الرضا الوظيفي، هذا المفهوم لا يمكن ملاحظته، بمعنى آخر لا توجد ظاهرة اسمها الرضا الوظيفي بل هو بناء ذهني يترجم ذهنيا مستوى معين من الواقع الاجتماعي

ب- تخصيص المفهوم وتحديد أبعاده: تعتبر هذه المرحلة مرحلة الشروع في الانتقال من المجرد إلى الملموس، أي التعبير عن المفهوم المجرد الذي نلاحظه بمستويات من الواقع هي بمثابة مكونات أو أبعاد لهذا المفهوم، مثال التغير الاجتماعي عندما نحدد إبعاده سنجد البعد السياسي الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي، وتجدر الإشارة إلى أن أبعاد المفهوم لا تحدد بصفة منتظمة وبنفس الكيفية بل يرجع ذلك إلي تقدير الباحث انطلاقا من سياق البحث ومن المعطيات التي تم استخراجها

ج- مؤشرات بعد المفهوم: لا نبالغ إذا قلنا أن للمؤشر أهمية بالغة في عملية اختبار الفرضيات، لأن المؤشر هو قلب إجراء بناء المفاهيم أو المتغيرات، إذ على أساسه يمكن التحقق فعلا من مدى صحة ما وضعناه من افتراض في محاولة لتفسير الظاهرة، والمؤشر هو تلك الصفة أو العلاقة التي تجعل الباحث يستطيع ملاحظة الظاهرة، ولإيجاد مؤشرات كل بعد لا بد على الباحث أن يطرح على نفسه في كل مرة السؤال: ما هي العلامات الملاحظة في الواقع والتي يمكن من خلالها تحديد هذا البعد؟

د- الدليل: هو نوع من الحوصلة أو التلخيص الجامع لجملة مؤشرات بعد المفهوم فهو بمثابة عنوان عام جامع لتلك المؤشرات، هو نوع من إعادة تركيب لهذه المؤشرات، فالأدلة هي إذا مقاييس مركبة فهي تتكون من تجميع لعدة مؤشرات في وحدة واحدة لها معنى ليس هناك قاعدة يجب على الباحث الالتزام بها ليمتدي إلي المؤشرات، أما بخصوص كم من مؤشر علينا أن نأخذ، أي عدد المؤشرات فهنا الأمر متروك للباحث لكن من الأفضل أن يختار عددا لا بأس به من المؤشرات يساعد على الاستدلال والبرهنة والتفسير

ويفيد تحديد المفهوم في أداء عدة وظائف أساسية، منها تحديد معطياته الأساسية، وإزالة الكثير من الغموض في بعض النظريات بل يؤدي أحيانا إلى تأسيس مجموعة من الفروض التي توسع من نطاق النظرية، على سبيل المثال تلك الآثار التي ترتبت على تحديد عالم الجريمة "أدوين سدرلاند" لمفهوم الجريمة، بالإضافة إلى إلغاء التناقضات الظاهرية في المعطيات والامبريقية، عن طريق تقرير أن هذه التناقضات ظاهرية فقط، [وكذلك...] توضيح التصور في تجديد المؤشرات التي من الممكن ملاحظتها وقياسها بالنسبة للمعطيات الاجتماعية التي يهتم بها الجانب الميداني للدراسة. إلى جانب ذلك، وضحت مادلين (M.Grawitz) (غراويتز، 1993) في قولها أن في العلوم الاجتماعية يحقق المفهوم أيضا عدة وظائف أهمها: "التنظيم والتوجيه والتعيين والتنبؤ"

3. تحديد المتغيرات الدراسة

تم الإشارة سابقا أن المفاهيم هي تجريدات تمثل ظواهر تجريبية، ومن أجل الانتقال من المستوى المفاهيمي إلى المستوى التجريبي، تحول المفاهيم إلى متغيرات، أي أن المفاهيم تظهر على شكل متغيرات في الفرضيات التي يتم اختبارها عمليا.

ويمكن توضيح ما هو المتغير، انطلاقا من بعض كبار الباحثين والمتخصصين في المنهجية أمثال "فضيل (ديليو، 2023) الذي عرفه أنه "خاصية يمكن أن تختلف من وحدة تحليلية دراسية لأخرى، ومن المرجح أن يكون اختلافها قابل للقياس والملاحظة، أي أن المتغير خاصية قابلة للتغيير (اكتسابه قيم مختلفة)، ويكون تغيره قابل للقياس، ويتم تطبيقه على مجموعة من الأفراد أو الأشياء أو الأحداث، والتي يمكن أن يأخذ قيما مختلفة في علاقتها بالمتغير"

مثلا توجد عدة أنواع من المشكلات البحثية، هناك أشكال متنوعة من المتغيرات التي يجب معرفة طبيعتها ودورها، من أجل تنفيذ خطة بحث معينة (تحديد السببية، أو العلاقات التفسيرية، أو الاعتماد المتبادل).

كما يميز الباحثون على المستوى التحليلي بين المتغيرات المستقلة والتابعة، فالمتغير الذي يرغب الباحث بتفسيره هو المتغير التابع، أما المتغير الذي يتوقع الباحث أنه سيفسر التغيير في المتغير التابع فيسمى المتغير المستقل أو بالمتغير المفسر، إنه السبب في تغيرات في المتغير التابع، حيث يتوقع أن يكون المتغير التابع قد تأثر بالمتغير المستقل. ومن الملاحظ كذلك أن المتغير الواحد قد يكون مستقلا أو تابعا، وأن إشكالية الدراسة هي التي تحد طبيعته، فمثلا هل مشاركة الأحزاب السياسية هي التي أدت إلى شفافية الانتخابات في الجزائر أم العكس؟

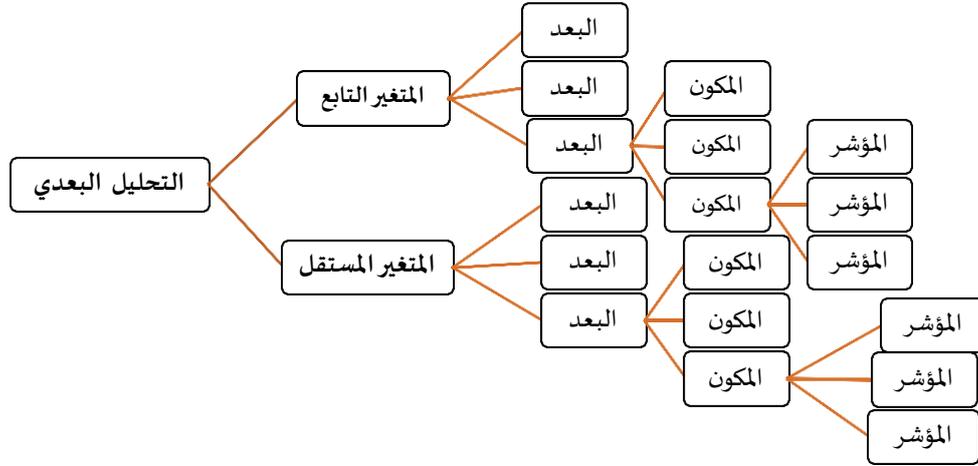
قد يرغب الباحث مثلا في افتراض واقترح أن المستوى التعليمي المرتفع لدى الزوجين سبب في انخفاض وتيرة الصراعات بين الزوجين، وبالتالي المستوى التعليمي هو متغير مستقل، أما الصراعات الزوجية متغير تابع والظاهرة محل الدراسة، وعليه المستوى التعليمي يؤثر على طبيعة ونوع العلاقة الاجتماعية بين الزوجين، وعلى ذلك وجب التأكيد هنا على أن التمييز بين المتغيرين التابع والمستقل ما هو إلا تمييز تحليلي ويرتبط فقط بهدف الدراسة، فالباحث هو من يقرر كيفية عرضها، فالمتغير المستقل في دراسة ما يصبح تابعا في دراسة أخرى.

ولصياغة الفرضيات أو التساؤلات من الضروري أن تكون لدينا متغيرات بمؤشرات، فهذه الأخيرة كذلك قابلة للملاحظة، والقياس، حيث تتولد بينهما علاقة ذات طابع عملياتي تتمثل في عملية الاستدلال، لأنها تفترض إذا كان المؤشر موجودا وبالتالي يكون المتغير أيضا موجود، وبواسطته تقيم أثر التعريف الإجرائي ونقيس المتغيرات كميًا.

4. التفكير البعدي للمفهوم

وفي هذا السياق، أشار دكتور عبد العزيز (خواجة، 2019) "أن عملية تفكيك الأجزاء إلى أجزاء أقل منها والأقل إلى عناصر أقل منها وهكذا، وذلك بتفكيك متغيرات الفرضية إلى أبعاد، والأبعاد إلى مكونات، والمكونات إلى مؤشرات"، حيث تشكل المؤشرات الحلقة الأخيرة في نظام التحليل المفاهيمي، وهي بذلك تعبر عن تلك البيانات أو الصفات الإجرائية. (القابلية للملاحظة)، والتي تتشعب بها كل بعد من أبعاد المفهوم، ولتبسيط أكثر يشير المؤشر حسب لإرامي وفالي "مجموعة من العمليات والامبريقية المنجزة بمساعدة أداة أو عدة أدوات لتشكيل المعلومة القابلة للقياس" (بن جخدل، 2019)، ويفضل أن يكون على شكل مخطط أو جدول. توضيحي.

الشكل 2: "مخطط توضيحي يمثل عملية تحليل البعدي"



المصدر: بالتصرف من: (خواجه، 2019)

كما يمكن للطلبة و/أو الباحثين عند انجاز مذكراتهم أو أطروحاتهم الأكاديمية عند القيام بعملية التفكيك البعدي الاستعانة بالجدول الذي يوضح كيفية إدراج المتغيرات الدراسة، وتفكيك كل متغير إلى مجموعة من الأبعاد، وهذا الأخير إلى مجموعة من المؤشرات القابلة للقياس والملاحظة.

الجدول 01: "عملية التفكيك البعدي"

المؤشر	البعدي	المتغير
المؤشر رقم (01)	البعدي رقم (01)	المتغير رقم (01)
المؤشر رقم (02)		
المؤشر رقم (03)		
المؤشر رقم (...)		

المصدر: من إعداد الباحث

وحتى يتعمق فهم الباحث حول هذه المرحلة الهامة من مراحل المسعى المنهجي في البحث السوسولوجي، وهي استخراج مؤشرات بعد المفهوم الذي يستند إليها اختبار الفرضيات، لنفرض أنه يوجد لدينا ثلاث مفاهيم مجردة لا يمكن ملاحظتهم مباشرة على الواقع الملموس، وبالتالي كان لزاماً أن نقوم بعملية التفكيك البعدي، ففي دراسة لظاهرة الانتحار وضع دوركايم التماسك الاجتماعي كمتغير مستقل يؤثر في معدل الانتحار (متغير تابع) وتم تفكيك التماسك الاجتماعي إلى بعدين هما: بعد التماسك العائلي، وبعد التماسك الديني، وهذا الأخير تم تفكيكه إلى جملة من المؤشرات: أثر الدين في الحياة اليومية، ممارسة الشعائر المختلفة (...).

وفي حالة المثال التالي العوامل الاقتصادية المؤثرة في النجاح الدراسي للأبناء، نقوم بتفكيك العوامل إلى مجموعة من الأبعاد التالية: المستوى الاجتماعي للعائلة، المستوى التعليمي للوالدين، والبعد الاقتصادي نقيسه بقيمة المؤشرات على سبيل المثال: دخل الوالدين، نوع المهنة، القدرة على تنظيم دروس الخصوصية، شراء مستلزمات الدراسة رغم ارتفاع أثمانها، أما المستوى الاجتماعي يمكن بالمؤشرات كالفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها التلاميذ، مكان السكن، مميزات الحي السكني، وهكذا تسمح لنا المؤشرات بالتحول مباشرة إلى بناء الدليل (أسئلة الاستمارة أو المقابلة)، هذه الأخيرة هي التي تحيلنا إلى تحليل السوسولوجي ثري للموضوع بقدر الأبعاد والمؤشرات.

5. خاتمة

وفي خاتمة هذا المقال، يمكن القول أن نموذج التحليل هو الامتداد الطبيعي للإشكالية رابطا على نحو عملي، ونقاط الارتكاز ومجالات العمل التي ستعتمد في النهاية لتوجيه عمل المعاينة والتحليل. وهو يتألف من المفاهيم والفرضيات المترابطة فيما بينها ارتباطا وثيقا لتشكيل معا إطارا لتحليل متماسك، كما إن صياغة المفاهيم تكون بناء مجردا يستهدف تحليل ما هو واقعي، ولبلوغ هذه النتيجة فإنها لا تشمل جميع جوانب الواقع المعني بل تستهدف فقط ما يعبر عما هو جوهري من وجهة نظر الباحث، إذ يتعلق الأمر ببناء قائم على الانتقاء، وبالتالي بناء مفهوم ما يركز بعد ذلك على تحديد الأبعاد التي تكونه وبالتالي على تحديد ما في هذه الأبعاد من مؤشرات قابلة للقياس والملاحظة ومما سبق، يمكن أن نستخلص من خلال ما توصلنا إليه من نتائج بناء نموذج التحليل في البحث السوسولوجي من التراث النظري إلى الواقع العملي أهمها:

- الفرضية هي افتراض مسبق لعلاقة بين طرفين يمكن حسب الحالة أن يكونا من المفاهيم أو الظواهر يستدعي التحقق منه، وبعد ذلك تواجه الفرضية في مرحلة لاحقة من البحث بمعطيات المعاينة ولكي تكون موضوعا لهذا التحقق التجريبي ينبغي أن تكون قابلة للنقض هذا ما يعني في المقام الأول أنها تختبر باستمرار، وبالتالي إن احترام هذه المتطلبات المنهجية هو وحده الذي يسمح بتجسيد روح البحث التي تتسم خصوصا بالتساؤل المستمر حول المكتسبات المؤقتة للمعرفة.
- بناء نموذج التحليل إحدى المراحل السبعة التي أقرها كلا من " كوفي وكمنهود "، وهي مجموعة من المهارات المنهجية والنظرية إلي يكتسبها الباحث المحترف، والتي من خلاله ينقل البحث من التصوري إلى الأمبريقي..

- تعتبر المفاهيم لغة أساسية في كافة البحوث العلمية، حيث أن تحديدها يمهد للباحث الأكاديمي لفهم الظاهرة المدروسة، وفي ضوءها يصاغ سؤالها المركزي.
- يقع الباحث في مأزق الفرضيات الدراسة نتيجة التهاافت لجمع المعطيات قبل صياغتها من جهة، وانشغاله في اختيار تقنيات جمع البيانات وتوظيفها حتى قبل درايته بشكل جيد عما يبحث عنه بضبط.
- وجود العشوائية في توظيف المفاهيم في بناء الفرضيات لدى بعض الطلبة، مع افتقاد للبعد السوسولوجي له مقارنة مع باقي المفاهيم الموجودة في مختلف الحقول المعرفية.
- وصول الباحث إلى عملية التحليل المفاهيمي من خلاله يستطيع الحديث بكل ثقة ووضوح عن امتلاكه العناصر الأساسية واللازمة لبناء التعريف الإجرائي لموضوع الدراسة.
- قيام الباحث بعملية التفكيك البعدي على أصولها المنهجية ستمكنه هذه المرحلة في الأخير إلى إعداد الدليل (أسئلة المقابلة، الاستمارة...)
- وعلى ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة، نقترح مجموعة من التوصيات نأمل أن يجد لها صدى لدى المعنيين بقضايا المنهجية في علم الاجتماع بشكل عام، ومنها ما يلي:
- لفت الانتباه الباحثين إلى البحث في مجال العلوم المنهجية ومقاربة موضوعاته بمقاربات حديثة تتجاوز المنظور النظري والمنظور النقدي إلى مقاربة تعتمد على منظور تطبيقي تظهر الجانب الوظيفي للمنهجية لبحث للرقى بالأبحاث العلمية.
- التركيز على البعد النوعي في إعداد البحوث الجامعية عوض التركيز على البعد الزمني.
- ضرورة إعداد منهجية أو دليل موحد في البحث العلمي في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يعتمد عليه الطلبة و/أو الباحثين في مختلف الأطوار الجامعية خاصة عندما يتعلق الأمر بإجراء مذكرات التخرج، أو رسائل أو أطروحات الدكتوراة، وهذا من خلال مسارات البحث المترابطة من سؤال الانطلاق إلى عرض النتائج.
- إعادة النظر في طريقة تدريس المنهجية على مستوى قسم العلوم الاجتماعية، لإكساب الطلبة المهارات اللازمة في انجاز بحوثهم أو بحوث المتعلقة بالتخرج .
- إن أحسن وسيلة منهجية تمكن الباحث من التحكم في الخطوات المنهجية هي القيام بعملية الضبط والتدقيق في كل خطوة يقوم بها.

6. قائمة المراجع

- المراجع باللغة العربية

1. ابراهيم براش. (1998). علم الاجتماع السياسي. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
2. ايناس بوسحلة. (2018). الهوية السوسولوجية للباحث في علم الاجتماع - دراسة ميدانية لأطروحات الدكتوراه بالجامعات الجزائرية (أطروحة دكتوراة). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-قسم علم الاجتماع والديمغرافيا- تخصص علم اجتماع تنظيم وعمل، باتنة : جامعة باتنة 1.
3. بن جخدل، س. ا. (2019). الأطر التمهيديّة للبحوث العلميّة (ط1). عمان: دار البداية ناشرون وموزعون.
4. بوب ماتيزوز، و ليزروس. (2016). الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية. القاهرة: المركز القومي للترجمة .
5. رشيد حمدوش. (2009). مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر: امتدادية أم قطيعة. الجزائر: دار هومة للنشر.
6. ريمون كيفي، و لوك فان كمنهود. (1999). دليل الباحث في العلوم الاجتماعية (ط1). بيروت: المكتبة العصرية.
7. طاهر حسو الزيناري. (2011). أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع (ط1). بيروت- لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
8. عبد الباسط محمد حسن. (2001). علم الاجتماع. الاسكندرية: دار غريب.
9. عبد العزيز خواجه. (2019). الدليل العملي لكتابة المذكرات الجامعية في علم الاجتماع (ط2). غرداية - الجزائر: داية للطباعة.
10. عمار بوخوش، و اخرون. (2019). منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية. برلين- ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
11. فضيل ديليو. (2023). ندخل إلى منهجية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر: دار الهومة.
12. كمال عمتوت. (2021). البراديجم السوسولوجي واسهاماته في تفسير ظاهرة التغير الاجتماعي. مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية ، 02 (01). ص ص 164-187.
13. مادلين غراويتز. (1993). منطق البحث في العلوم الاجتماعية (ط1). دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف بدمشق.
14. ناصر قاسيبي. (2017). التحليل السوسولوجي - نماذج تطبيقية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
15. الويزة سي محمد. (2008). دور نموذج التحليل وعلاقته بالمعرفة السوسولوجية- دراسة امبريقية (رسالة ماجستير). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم علم الاجتماع، الجزائر: جامعة الجزائر.
16. يوسف بريك. (2002). مناهج البحث في علم الاجتماع. دمشق: منشورات جامعة دمشق

- المراجع باللغة الانجليزية

17. Angers, M. (1997). *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*. Casbah- Alger.
18. Depelteau, F. (2010). *Methodes En Sciences Humaines, La Demarche D'une Recherche En*. De Boeck Superieure: Canada.
19. Quivy, R. & Compenhoudt l.v (1980). *Manuel de recherches en sciences sociales*. Paris: Dunod- Bourdas.